سفهاء ومراهقة

سفهاء ومراهقة

تأليف

رابعة مصطفى الحاجو بكر

سفهاء ومراهقة

تأليف: رابعة مصطفى الحاجو بكر

الطبعة الأولى: ٢٠٠٩.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ١١ ٠٠٩٦٣

فاكس: ٥٦٣٢٨٦٠ ١١ ٠٠٩٦٣

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

الإهداء

أحياناً تذبل الزهور لكن أكثرها لا يموت بل يعود إلى الحياة مجدداً وبإشراقة أجمل من ذي قبل...

وأكثرنا مثل هذه الزهور بقوتنا، بحبنا للحياة، بأشخاص يحتاجوننا ونحتاجهم...

بطفلي الذي كان دائماً قوتي المندفعة ووحيي الدائم وسيبقى أبداً بإذن اللّٰه.



لذا أهدي أول نجاح إلى نور حياتي وبسمة شفاهي...

إلى سعادتي الدائمة التي أحيت قلبي مجدداً...

إلى تلك الإبتسامة البريئة وذلك الوجه الملائكي...

إليـك يـا عصـارة قلـبي فمـن خلالـك وقفـت علـى قدميَّ وأحببت الحياة أكثر من ذي قبل، يـا أثمـن مـا وهبني اللّه.

❖❖❖

إلى نفسان لو نسيتهما نسيت نفسي وظلمتها...

إلى والـديي اللـذان لولاهمـا مـا كنـت موجـودٌ اليوم...

وما كانت رسالتي بين أيديكم الآن.



إلى قدري ووجودي...

إلى يقيني الدائم والمستمر...

إلى حب السنين الذي لا يموت...

إليك يا أقرب من نفسي إلي...

إلى الروح التي لطالما منحتني الحياة...

إلى زوجي الحبيب.

سفهاء ومراهقة

سفهاء ومراهقة

عندما يحيا المرء في هذه الحياة دون هدف مسيرا من الآخرين يبقى ابد الدهر هامشا على طيات الزمن.

منذ فترة قريبة أدركت أن كثيرا يحيون دون حياة، دون طريق يرسمونه، فهناك من يصنع لهم ذلك، لم أكن أعجب من هؤلاء إلا أنني آسفٌ و من كل قلبي فقد باتت مجتمعاتنا فاشلة بكل معنى الفشل بات الأنا والتزمت يتوج هذه البشرية، كلٌ ينهش بالأخر كلٌ يسعى لأجل نفسه ناسيا انه ليس الوحيد في هذا العالم .

صنعنا بعقدنا مجتمعا جاحدا و بدأنا نصب لومنا عليه و نشتمه فكثيرا ما رأيت البعض يقولون لعن اللّه هذا الزمن أو تبا لهذا المجتمع الجاهل و إلى أخره....

لكنني أقول تبا لكم تبا إلى كل فرد ساهم بدمار هذا المجتمع فما ذنبه هل تغير الزمن، هل تبدل الهواء، هل تغيرت السماء هل تاهت الأيام، لا اعتقد فما زال كل شيء كما هو منذ ألاف السنين لكن نحن من تغيرنا ، نفوسنا التي ملأها البغض والتذمر نحن نصنع هذا الزمن و ليس هو من يصنعنا.

شيء داخلي يمزق بعضه الأخر أسفا ألما و قهرا .

أين الضمير أين الرحمة أين الحق أنني ابحث عن هؤلاء بين عالم كبير ملأه الظلم و التمرد ملأه الضعف و التخلف، لعلي أجد احدهم بل ولماذا ابحث وليس هناك من مستجيب فانا ذرة صغيرة جدا أمام عملاق ضخم لا يرحم .

لم اختار الكتابة لأكون ملفتا للأنظار أو تميزا عن سواي إلا أنني اخترتها بعد تفكير دام طويلا بهذه البشرية القذرة الخالية من التفاهم الممتلئة بالجهل و التخلف .

لأتكلم بلساني ولسان الملايين إلا أن القليل منهم من شجعني لكنني لم أكن انتظر تشجيعا من أي احد بل كنت انتظر نفسي فحسب .

و حتما تكفيني تلك القضايا المأساوية وثقتي اللامحدودة بنفسي ليشجعاني، اخترت الكتابة بدافع الشفقة على نفسي و على العديد من الناس بغض النظر عن جميع المظاهر البالية، وأول ما رغبت بكتابته هو رسالة إلى كل أم و أب يحيون في هذا المجتمع .

أنني أنقذكم من نفق الحياة الذي لا يرحم قبل فوات الأوان لعلكم تسمعون صوتي لعلكم تبدلون قناعاتكم و تزمتكم و أن لم يكن فعذرا على التمرد الذي ستنالونه مني و من سواي، كثيراً ما تساءلت وراء أي شريعة و عقيدة تسعون، أي من الأديان، تتبعون لكنني ما وجدت جواب أو عرفت طريق، فكيف لي أن أجد ذنب لفتاة تفتحت عيناها لترى والدا متزمتا جاهلا و أم تشبهه كثيرا، هل

ذنبها أنها خلقت ابنتهم أم ذنبها أنها ما استطاعت الفرار من سن محتوم أتاها زائراً اسمه المراهقة.

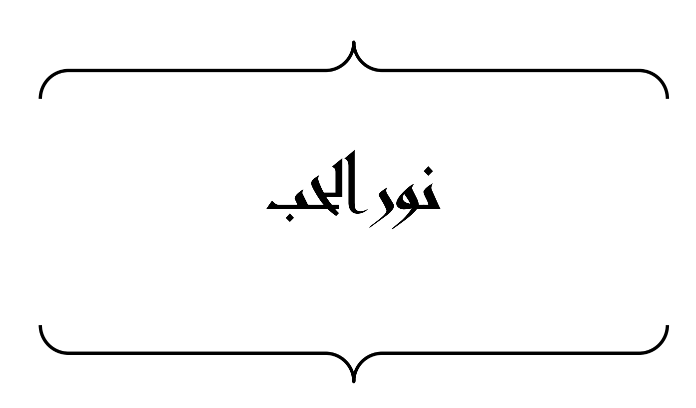
و قبل أن أتابع ارغب بطرح بعض الأسئلة على جميع الآباء و الأمهات راجية الأجوبة عليها لأنفسهم .

الم تسلكوا هذا الطريق الذي ربما يسلكوه أطفالكم ؟

هل استطعتم التغلب على عواطفكم التي كانت جياشة إلى حدٍ لا محدود ؟

هل أصغيتم إلى شتائم أبائكم و أمهاتكم قبل الناس ؟

أحدكم قضي على مستقبله بسبب اندفاعه في هذا السن الذي لم يستطع الأهل تفهمه أو التعامل معه بشكل سليم، لذا لا داعي لتصبحوا آباء وأمهات غير قادرين على التفاهم مع أبنائكم في هذا السن .


نور الحب

نور الحب

كنت في مبتدأ الصبا عندما كانت لي صديقة تصغرني بثلاثة أعوام إلا أنني كنت لأعجب في هذه الصديقة ، لطالما رأيتها مختلفة تماما عن الكثيرين في سنها كانت تفكر كفتاة أكبر من عمرها وكانت تضمر في داخلها أشياء من المبكر أن تضمرها ، ربما كانت أقرب صديقة إلي رغم الفوارق الكثيرة بيننا كنا نمضي معا أوقات ممتعة.

كثيرا ما كانت تحدثني عن الحب و كثيرا ما لفت انتباهي إصرارها على أنها ستعرفه يوما وتكون مثال لسواها ، و الأهم أنها ما خطت يوما إلا واستشارتني أو على الأقل سمعت لي و كانت تمضي علاقتنا كأي صديقتين مقربتين يتشاركان في كل شيء تقريبا . كثيرا ما كانت تثيرها قصص الحب و كم اهتمت لسماعها ، وما كان يخيفني عليها

كثيرا هو عاطفتها الجياشة المسيطرة، لطالما أخبرتني أنها تنتظر اللحظة التي ستعرف بها معنى الحب و تعيشه واقعا لا خيالا .

ومضت الأيام لتفرقنا الظروف، تبعدنا لمدة شهر تقريبا دون لقاء .

و يوما أرسلت إلي مكتوب و قد فاجئني ذلك وتساءلت لماذا لم تأتي إلي بنفسها فسارعت لأرى ما تضمره تلك الورقة البيضاء المزخرفة التي توحي بالتفاؤل و إذ بها تقول ......

رأيت أن من الأفضل أن اخط لك ما أود قوله على هذه الورقة لأنني شعرت بعدم امتلاكي الجرأة الكافية لأتكلم وجها إلى وجه .

لقد ...لقد ... لقد ....

نعم يا صديقتي لقد طرق الحب باب قلبي هذا الحب الذي لطالما أردته و لطالما ابتعدت عنه لقد زارني دون أي إنذار سابق فرأيت نفسي خاضعة إليه بكل كبريائي إلا أنني اشعر بالخوف و لست اعلم

من ماذا .لكنني أعيش أيامي بسعادة لا توصف ولأول مرة منذ أن خلقت أرى أن الحياة جميلة .

فقد بدا لي كل شيء مختلف وأصبح كل شيء له معنى، وندمت نعم لقد ندمت كثيراً على الأعوام التي فاتت دون أن يقدسها الحب .كانت أيامي دون معنى أو جمال كنت أعيش لأجل اللاشيء و أحيا لأجله كنت أرى السعادة لكنني لم أتذوقها يوما كنت وكأنني لم أكن .

أما الآن شعرت بوجودي أكثر شعرت بقيمة نفسي شعرت بروعة وجمال الحياة .

و عتبي عليك شديد لأنك لم تحدثيني يوما عن سحر الحب بل كنت ترفضين مناقشتي بهذا الحلم الإلهي .

كنت دائما تقولين مازلت صغيرة سيأتي يومٌ وتدركين معناه بنفسك و ها أنا الآن عرفت وأدركت معانيه بأكملها إلا أنني طالبة الرشد فبحق صداقتنا أرشديني .

ياه ....

ألهذا الحد الجنوني ممكن أن يقود الحب المرء

ألهذا الدرجة هو عظيم و أي معاني قد أدركتها تلك الفتاة وهي ما زالت في مبتدأ الطريق ولأول مرة تقع ضحية للحب ما هذا الاندفاع الذي سيطر على كيانها وما هذه الجرأة التي منحها الحب إياها .

هل اكتشفت الحب وجماله و معانيه وأسراره بهذه البرهة من الوقت لابد أن المراهقة قد نالت منها.

فأرسلت طالبة رؤيتها بأسرع ما يمكن في الوقت الذي كنت فيه على غير استعداد للانشغال بأي أمر.

اليقظة السعيدة

اليقظة السعيدة

حينما ترى نوراً ساطعاً من وجه مشرق، غير عادته، وعينان ترسلان الأمل والتفاؤل، لينشراه أينما نظرا وشفاه صامتة، إلا أنها تتكلم أجمل الكلمات وأعذبها، و قلباً نابضاً كما لو انه يعرف أروع وأعذب الألحان .

هكذا رأيتها عندما قابلتها أول مرة بعد الحب الذي بات اليوم صديقا وونيسا لها .

أخذت اتأملها بصمت دام طويلا و الأمر كذلك بالنسبة لها في حين أن الكلمات كانت كثيرة وكثيرة لديها .

شيئاً ما جعلها بحالة من التوتر بعدان دام تأملي لها و تكلمت قائلة : ارأيت يا صديقتي هل تأكدتي الآن أن الحب استحوذ على كل جزء مني و أصبحت فتاة أخرى غير تلك .

لقد عشقت الحب كما لم اعشق سواه، عشقته أكثر من نفسي و اقل من ذاك الطيف الذي لا يفارق مخيلتي و تفكيري .

آه ياصديقتي لو تشعرين بما اشعر، لو تعلمين كم الحب رائع .

شيءٌ غريبٌ عالم تدخليه فترفضين الرحيل عنه مهما كان، لا تتعجبي يا صديقتي بل أكثر من ذلك بكثير، و أين هؤلاء اللذين لطالما حاولوا أن يدنسوا الحب قائلين انه وهم ولا وجود له، أين هؤلاء الذين لطالما قالوا انه عذاب وتعاسة و حزن، آتني بأحدهم لأحدثه عن تلك السعادة التي أعيشها والتي يمنحها الحب للعاشقين .

لأحدثه عن مدى جماله وروعته لأقول له أن الحب عالمٌ بريءٌ، عالمٌ مليءٌ بما تطلب النفس وتتمنى.

توقفت عن الكلام واقتربت من النافذة متأملة ما حولها و ما أمامها و عادت بالكلام قائلة : اقتربي قليلا

اقتربي لعلكِ ترين ما أراه لعلكِ ترين هذا السحر الموجود في هذا العالم و ترين كم الحياة جميلة ، انظري إلى السماء ألا ترين ابتسامتها .انظري إلى المنازل والشوارع و الناس وكل شيء موجود هنا ستشعرين بالأمل و السعادة و الاطمئنان .

تأملي قليلاً يا صديقتي تجدين الحب في كل أرجاء العالم باسطاً جناحيه المشرقين .

هل أدركت الآن مدى عظمته؟ هل عذرتني؟ بالتأكيد فأنا واثقةٌ أنك الوحيدة التي يمكن أن تفهم معنى كلامي إلا أن نظراتك تخيفني بالله عليك كفي عن ذلك ودعيني سعيدة بنفسي شاعرة بإنسانيتي عاشقة للحياة، حينها و بعد صمت قد ألتزمته بالإصغاء إلى كلماتها قلت : إذا أنت أسيرة للحب .

سارعت بالقول: لا بل هو أسير لدي...

كيف تقولين ذلك وأنت التي تتحدثين عنه إلا أنني لم اسمعه يتحدث عنك و ينعتك بأجمل ما يوجد في هذه الحياة .

أصغي إلي جيداً و لا تكوني مندفعة إلى هذا الحد، فأنت ما زلت صغيرةً على شيءٍ اسمه الحب .

أنتِ أمامه ذرة وهو العملاق .

هو كالبحر كلما غصت أكثر فأكثر في أعماقه تغرقين، لأنك لا تعرفين العوم فيه و مازلت جاهلةً لأسراره و مازالت تلك خطواتك الأولى في هذا الطريق .

و الأهم من ذلك لا تنسي انك في مبتدأ مراهقتك لأن ما تتكلمين عنه ليس حباً بل شيئاً عابراً تنعتوه انتم في هذا السن بالحب إلا انه العفاف بمعناه .

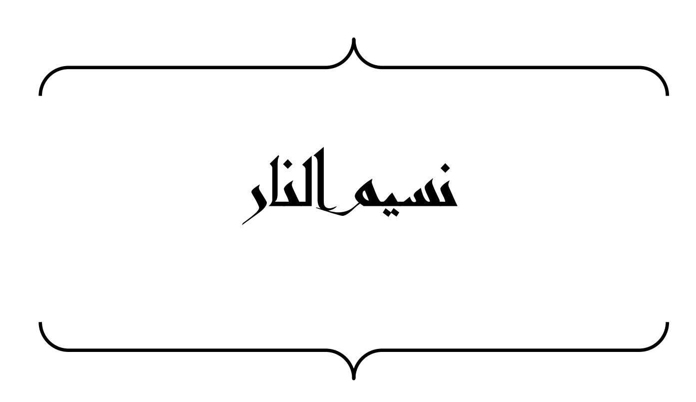
أنا لست من المتزمتين كي ارفض ذلك أو أوقظك من أجمل حلم يعيشه المرء في حياته، إلا أنني أحذرك من الاندفاع فالتهور .

الحب ياصديقتي هو تلك الأشعة التي تدخل القلب اليائس لتمنحه النور و الحياة هو الأمل الذي يرتسم أمام الكثيرين .

الحب هو الطهارة هو العفاف لأنه من الله فقد منحنا إياه لنستطيع الاستمرار في هذا العالم .

هذا هو الحب ياصديقتي لكن مازال الوقت مبكراً و مبكراً جداً لذا تصرفي بعقلانية وتأكدي انه ليس أخر حب بل هو الأول و سيأتي بعده الكثير

سيطرق باب قلبك كثيراً و ستلبين النداء لكنه ليس حباً بل هو مجرد شخصٍ اعجبتي بشيء فيه وسمعتي قصص الحب فأتتك الرغبة بأن تعيشيه حاولتي و التقيتي بأحد ما واعتقدتي انك متيمة و انه الحب الحقيقي لذا تمهلي وليس هناك من داعي لهذا التهور .



نسيم النار

نسيم النار

وفي إحدى ليالي أيلول الجميلة الساكنة الساحرة و التي تجعل الإنسان بحالة من الاطمئنان والراحة، كنت جالسةً اتأمل و أفكر و اكلم نفسي بأشياء غريبة في هذه الحياة، و ما برح لي أن تذكرت صديقتي إلا و قد فوجئت بها واقفةً أمامي بصمت باهر دون أن اشعر بوجودها الملائكي .

و قد مضى على لقائنا أيام طويلة تتجاوز العشر والعشرين لكن هذه الوهلة كانت فتاة أخرى تختلف عن تلك التي رأيتها منذ أشهر قليلة مقبلة على الحياة كل شيء بوجهها كان يتكلم السعادة .

كل كلمة نطقتها كانت تنطق بالتفاؤل .

اليوم شعرت و لمست ذلك الحزن الذي انهال من نظراتها و ذاك اليأس الذي حط في وجهها .

تكلم صمتها أساً و ألماً و كم بت أتوجس هذا الصمت الذي تمادى كثيرا إلا أنني فضلته على أن أتكلم بحرف واحد قبل أن تتكلم هي .

ترى ما حالها هل انصدمت بالواقع بعد أن عاشت لمدة طويلة في دنيا الخيال ؟

هل أيقظها صوت المراهقة ؟

هل استسلمت لأراء المتزمتين ؟

كثيراً من الأسئلة راودتني...

خلال صمتها المؤلم و حيرتي بأمرها و إذ بها تقول بصوت حزين...

آه ياصديقتي في الأمس تكلمت عن الحب بأروع ما يوجد من صفات في هذه البشرية أتذكرين في الأمس تكلمت عن عظمته و جماله.

اعتقدت انه سيمنحني الجرأة لمواجهة العالم إلا انه منحني الخوف .

اعتقدت أن المرء يستطيع أن يدفن سر الحب في قلبه إلا انه خيب ظني و برغم ذلك مازال مسيطراً على قلبي بتشبث يحال النجاة منه .

ماذا أقول ماذا ينبغي علي أن أقول و أنا في هذا العالم المخيف وسط هذا المجتمع الذي لا يتفهم عواطفنا ولا يرحم قلوبنا .

أنا هنا وسط الجهالة و الاستبداد أنا في نفق مظلم قذر و أنت أيضا وجميعنا و كل شيء .

لقد وشى الوشاة إلى والديَّ أنني همت في دنيا الحب إلا إنهما لم يتقبلا ذلك و منعاني من رؤيته بإصرار شديد .

و اخذ والدي يضربني كما لو أنني جلبت له العار الذي سيبقى أبد الدهر مرافقا له .

اقسم أنني لن اخضع لإرادتهم مهما حاولوا وسأراه دائما في واقعي و في أحلامي بالسر و العلن أن شاءوا أو أبوا ، لم أجد نفسي إلا ضاحكة دون

شعور أو إرادة و اقتربت منها قائلةً ياه ألهذا الحد ماذا حل بك ماذا دهاك كأنك تنفي وجود والديكِ تماماً.

كأنك تضعين نهاية لحياتك بهذا الحب أي بهذه النزوة، أنها نزوة ياصديقتي ليست حبا .حاولي أن تدركي هذا الشيء كما أنت مدركة لمشاعرك المزيفة، دعي القدر يسيرك اليوم وغداً قوديه أنت و لن يكون هذا ضعفا بل هو الصواب في محنتك الآن أصغي لوالديك فهم يخشون عليك، وهل هناك شك بمشاعر الوالدين، عودي الآن إلى منزلك و استرخي على سريرك و انظري إلى جدران المنزل نظرة حمايته لك و فكري بروية مليا و إياك ثم إياك من التهور، تذكري و لا تنسي إنك بربيع المراهقة .

تفوهت بعد أن أصغت إلي بكلمة حسنا – حسنا وداعاً وكأني لم أتكلم شعرت أنها استهزأت وسخرت .

أي شيء ما عدا أنها استوعبت غادرت وهي تقول حتى أنت تظنين أني صغيرةٌ على الحب .

مضت الأيام وسارت الأيام و أنا انتظر منها اتصال أو زيارة أو أي شيء لكنها لم تفعل .

فاتصلت بها وإذ بوالدتها ، بعد أن ألقيت السلام، سألت عن حال صديقتي فأخبرتني أنها بخير وغير موجودة في الوقت الحالي، فستأذنتها بمعاودة الاتصال و لم تمانع و كلما طلبتها أتاني ذات الجواب غير موجودة.

بعد محاولات عديدة راودني إحساس أنهم لا يريدونني أن اكلمها فابتعدت لأيام .

لكنها ما فارقت تفكيري و لو دقيقة .

ماذا حصل لها وما الشيء الذي استجد ولماذا ابتعدت فجاءة دون أن تخبرني بشيء وكيف سأراها لم يكن هناك أي طريقة لأراها من خلالها ، فقد خشيت أن اسبب لها خلاف مع والداها إن ذهبت لمنزلها لابد أن انتظر مبادرتها فحسب، لكن مضت الأشهر وبدأت الكوابيس المزعجة تأتي في كل ليلة

لعلها بحاجة إلي، لعلها بحالة صحية سيئة يا إلهي ماذا افعل لابد أن اذهب إلى منزلها وحقاً ذهبت.

اقتربت من الباب و أنا أخشى أن اطرقه وبكل تردد فعلت لأرى والدها.

طلبت رؤيتها وحقا استقبلني بلطف وسمح لي بالدخول مناديا باسمها بقيت ملتزمة مكاني وأنا انظر إلى باب غرفتها انتظر رؤيتها على أحر من الجمر لكنها خيبت أملي ولم تلبي نداء والدها .

وإذ به يقول تفضلي بالجلوس عندما تعلم بوجودك ستسر كثيرا لأرى صديقتي تركض إلي وتأخذني إلى صدرها بلهفة المشتاق وجمال اللقاء ودموع المظلوم قائلة :

اشتقت إليك كثيرا لكن ...... والتزمت الصمت فتداركت الموقف حالاً كأنها شعرت بوجود والديها بعد أن نسيته برؤيتي .

وجلست أمامي دون أن تتفوه بأي كلمة لكنني شعرت بأنه لديها الكثير و الكثير من الكلمات .

لمست حزنها وحاجتها إلي لكن وجود والدها قيدها تماماً فاستأذنتهما و اصطحبتني إلى غرفتها أخذت بالبكاء وما توقعت أنني سأراه ينتهي حينها .

بكت وبكت كثيراً جداً قائلة :

حاولوا أن يضعوني بين أربع جدران مكبلة بالجنازير كما الحيوانات، لقد سكنت الظلمات حياتي و أصبحت تعيسة عمياء احترق بنار الجحيم وأتمزق بسيوف المتخلفين هل أخطئت عندما أحببت هل ارتكبت ذنباً لأعاقب عليه بهذه القسوة، حتى وإن فعلت فلماذا لم يكلموني بتفهم لربما أصغي إليهما...

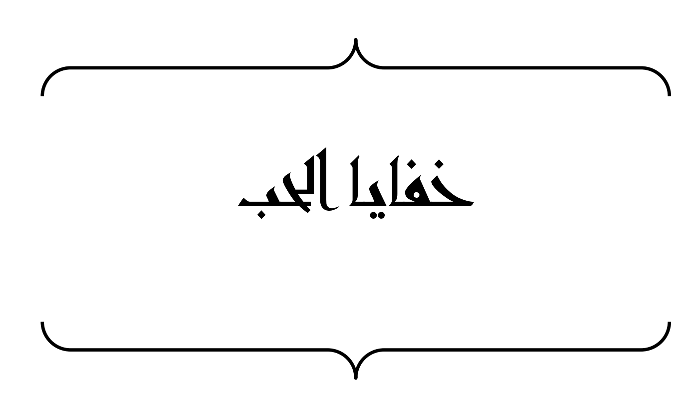
أي ذنب اقترفته أي خطيئة ارتكبتها اخبريني امنحي لي أي عذر أو أي مبرر لتصرفات أولئك الجاهلين، يعتقدون أنهم سيمنعونني من الحب بقيودهم، يعتقدون أنهم قادرين على قتل هذا الإحساس المقدس داخلي، لماذا لا يفهمون ميول عواطفي لماذا لم لا يكلمونني و يرشدونني أن كنت

حقاً مخطئة وما فعلته إجرام لماذا ياصديقتي لكنني أتساءل هل من المعقول أنهم لم يعرفوا الحب يوماً اقسم أنهم عرفوه إلا أنهم حللوه لأنفسهم و حرموه لأبنائهم نعم لقد فعلوا.

كانت تتكلم وفي صوتها مرارةٌ اشد من عويل الموت وأتعس من فقدان السعادة...

كانت تنظر وفي نظراتها يأس اشد من عنين الحياة وظلمها...

كانت قوة الاندفاع و التهور والتمرد في قلبها أقوى من الصخور و اشد من العقول المتصلبة و كان كرهها للتقاليد يضاهي عشقها للحب هذا ما كان يخيفني عليها في هذا السن وجلست أفكر بما هو آت لي ولها وللجميع .



خفايا الحب

خفايا الحب

اعتادت الشمس أن تمنح نورها في معظم الأحيان إلا أن هذا النور لم يعد كافياً ليضيء العالم وينير قلوب البشر...

فتلك الظلمات قد طغت بجبروتها على هذه الأنوار وجعلت هذه الأشعة الذهبية تضمحل اضمحلالا لامتناهياً لتقتل الأمل الذي نرسمه للاستمرار في هذا العالم وما من طريق نختاره للسعادة قد اكتمل.

لذا كنت أصغي إلى كلماتها المشرقة بقدر صمتي ورفضي للنقاش بأكثر من كلمات محدودة و مختصرة لعلي أصبح صديقة لتلك الظلمات التي تحدثت عنها وأقتل ذلك الأمل وتلك السعادة التي شعرت بهما وعاشتهما عندما وقعت في شباك الحب كي لا أكون لها نذير شؤم كما منزلها التعيس

مضت الأيام الكثيرة و أنا انتظر منها زيارة لأرى ما الشيء الذي استجد معها، إلا أنها لم تفعل لذا قررت أن اذهب إليها بنفسي وحقاً فعلت : كانت مرتمية على السرير في خلوة، ما من تعبير لوصفها، بقيت واقفةً مكاني اتأملها لعل ذلك التأمل أصبح لا إرادياً لدي لأرى أنواع الحزن بشتى ألوانه وأقساها فقالت بصوت خافتٍ حزين من يصغي إلى سواك؟ فالسجين يستحق زيارة إلا أنهم يمنحوه إياها مرغمين . اقتربي و كفي عن نظرات الشفقة تلك فأنا اكرهها بقدر كرهي للجهل اقتربي ياصديقتي لأروي إليك ما تبقى وما هو آت من قصتي .

اقتربي لعلي بحاجة شديدة إليك وعندما جلست أمامها تكلمت على الفور قائلة :

لقد قيدوني بالجنازير كما تقيد الحيوانات المفترسة و اخذوا ينعتونني بأسوء ما يوجد من صفات و أدناها .

وعندما يهم والدي بالذهاب يقول لوالدتي انتبهي لابنتك جيدا ولا تغادري المنزل للحظة ريثما أعود من عملي وان لم تكن والدتي يردد هذه الكلمات على مسامع أخي الذي يصغرني سنا ليبقى ساعات بأكملها واقفا أمام هذه الغرفة التي امكث بها ويحرسني كما تحرس الكلاب القصور .

آه ياصديقتي لو تعلمين لقد فعلا بي أشياء كثيرة جعلا مني فتاة محطمة تماماً.

حتى عندما يتكلمون معي اشعر أن ثقتهم بي قد توارت و انتهت للأبد وهذا أصعب شعور يمنحونني إياه، كل شيءٍ أتقبله إلا أن اشعر أنهم يطعنون بأخلاقي اقسم أنهم لن ينتصروا على هذا لحب الذي داخلي مهما حاولوا اقسم لك بذلك .

فكل نبضة من نبضات قلبي تذكر اسمه.

اللّه هو من منحني هذا الحب فهل سيستطيع والدايَّ أن يقتلاه .

الحب ليس حراماً لأنه در ثمين من الله يسكبه في قلب المرء، إذاً لماذا حرّمه والدايَّ، ستجمعني أقداري معه و سأكون عبرة للأجيال القادمة سأفعل ذاك رغماً عن الجميع رغماً عن العالم طالما الحب جانبي و ما انتظره هو الفرصة المناسبة لا أكثر .

اعلم تماماً انكِ رافضةٌ تماماً لما سأفعله لذا لا داعي لتقولي ما لديكِ فوقت الكلام قد انتهى ما عاد يأتي بفائدة لكن فكري قليلا ستجدين أنهم سيدفعونني إلى الطريق الخاطئ بتصرفاتهم وكلماتهم وكأنني الوحيدة في هذا العالم لتي خفق قلبها يوماً كأنني أحببت بملء إرادتي لماذا لا يفهمون ذلك لماذا ؟

فوجئت بما سمعت لا بل صُعقت وخشيت عليها لأنها كانت على استعداد بان تضحي بأي شيء مقابل الحفاظ على هذا الحب فسالت دموعي في الحال وقلت :

ما دمت مدركةً انه الطريق الخاطئ إذاً لماذا ستخطينه، إياكِ والخطيئة وكوني واثقة أنكِ الخاسرة الوحيدة غادرت منزلها...

أخذت أسير في الشوارع تحت القناديل المضيئة غير شاعرة بنفسي...

أخذتني الخُطى للقرب من منزلي الذي كنت بحاجة إليه، إلى جدرانه إلى سكانه إلى حمايته، وحقاً دخلت منزلي بأفظع شعور تملّك كياني ألا وهو عشقي حتى لظلمه وتعاسته وارتميت على السرير كجثة هامدة عاجزة عن التفكير تماماً، ترى هل حقاً ستفعل ما قالته أم أنها مجرد كلمات بدافع الظلم الذي تشعر به .

لكنها تتكلم بثقة، بجدية، باندفاع تتكلم وكأنها تنتظر الفرصة على أحر من الجمر .

آه ياصديقتي حقا بتُّ أشفق عليك إذاً كيف سأقدِّم لكِ المساعدة ماذا افعل كيف ....

لابد من مساعدتي لها بأي وسيلة ولم أجد حينها سوى والدتي لربما تستطيع التحدث مع والديها .

فركضتُ مسرعة إلى والدتي ارجوها بفعل أي شيء لمساعدة صديقتي المسكينة فأجابتني والدتي أنها أمور ربما تكون بالنسبة لوالديها شخصيةً جداً وتدخلنا بها ممكن أن يسبب لها الخلافات الشديدة معهما إلا أنها وعدتني بأنها ستحاول مساعدتها وحقاً أجرت اتصالاً هاتفياً مع والدة صديقتي ودعتها لزيارتنا بأسرع وقت ممكن وكان ردها الإعتذار بحجة انشغالها ووقتها و ظروفها .... الخ

يا إلهي ماذا سأفعل الآن قبل أن تنفذ ما قالته صديقتي لابد من فعل شيء إذاً ما هو هذا الشيء .

هل اصطحب والدتي إلى منزلها لتكلِّم والديها أم لتكلمها هي حسنا سأفعل أيا كان لا يهم .

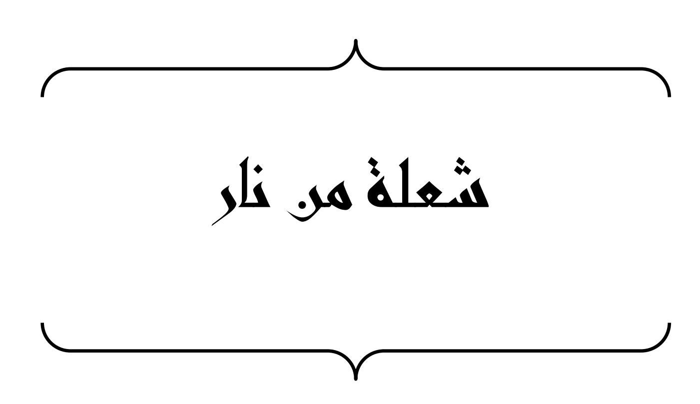
وحقا وافقتني والدتي الرأي وذهبت إليهم تحدثت مع والدتها كثيرا بشتَّى الأمور وقدمت لها النّصائح العديدة أخبرتها أنَّ ما يفعلاه بابنتهم ليس الصواب

وعليهما أن يحدِّثوها و يكلّموها بتفهُّم و أكثر عقلانية لكن للأسف كان جوابها لوالدتي بعد كل هذا هو أن الفتاة التي تفعل كما فعلت ابنتهما أي التي ينبض قلبها لشاب يجب قتلها وهم لم يفعلا ذلك بل اكتفوا بمعاملتها كالحيوانات، ياه أي نوع من الأمهات تلك كيف تجرؤ على التفكير بهذه الطريقة أين ترعرعت وفي أي جهل نشأت ما هذا التخلُّف وما هذه القسوة هل أصبح الحب عاراً إلى هذا المدى ، تباً لهذا الزمن تباً للعقول المتصلِّبة تباً للجهل وتباً للنفوس المريضة .

إذاً هل ستبقى صديقتي تُعامل هكذا إلى نهاية حياتها وأصبحت أتردد إليها كثيرا وأقدِّم لها النصائح هذا كل ما كان بوسعي فعله حينها فوالديها من المحال إقناعهم.

هكذا ترعرعوا وهذه قناعاتهم. إلى أن طلبت مني والدتها عدم المجيء إليهم لعلي أشجع ابنتها كما ادّعت .

فابتعدتُّ عنها مرغمةً وكيف لي أن اذهب إليهم مرة أخرى؟! لكنني حاولت الاتصال بها هاتفياً مراراً وتكراراً دون جدوى وولّت الأيام لتصلني أخر الأخبار عن صديقتي .



شعلة من نار

شعلة من نار

وما فائدتكِ أيتها الكلمات في وقت لم تعودي تنفعي به و ما فائدتكَ أيها الندم في آخر الطريق .

وما فائدتكِ أيتها الدموع طالما لم تمنحينا ما أخذته الدنيا ، دائماً نحن الضعفاء دائماً نفكِّر بعد فوات الأوان دائماً تتغلَّب عواطفنا على عقولنا . دائماً الإنفعال و التَّسرع يتملكانا في لحظات ثروتها التأنّي.

طُرق باب منزلي وإذ بورقة مرميةٌ أرضاً ، أخذتها لأرى ما تضمره كانت يداي ترتجفان وقلبي ينبض بنبضات متتالية دون تأنّي في الوقت الذي كنت اقرأ ما كتبتهُ صديقتي قائلة :

استطاع الأسير أن يحصل على منفذ للهرب لقد ملك السجين قرار براءته ، لقد رحل العصفور من قفصه و حلّق بعيداً لن تلوميه أليس كذلك لأنكِ

مدركة أن قرار حكمه كان ظالماً لكن تساءلي يا صديقتي ليس قليلاً بل كثيراً، تساءلي ولومي واحقدي أيضاً على القاضي الذي اصدر حكمه وعلى السجّان الذي زجَّ السجين وراء القضبان وعلى الحارس الذي وقف ليحرسه وكل هؤلاء الحمقى مدركين أنهم الظالمين وذاك هو المظلوم ومن يدفعه الظلم إلى أي طريق لا يلام.

هو مخطئ بما اختار إلا أن الخطيئة الأكبر كانت وجوده في مكان حقير و خضوعه واستسلامه هو مخطئ أقولها مئات المرات لكنه فعل ذلك رغماً عن نفسه .

فقد تغلَّب قلبه على إرادته وقرر امتلاك حريته بعد أن أيقن أن الحرية هي أثمن ما يملكه المرء والأهم أن الجدران الأربعة التي كان أسيرا فيها لم تدفعه بقدر ما دفعه شعوره بانتهاء ثقة من حوله .

هذا الشعور هو اصعب شيء يعيشه الإنسان هو الدمار بحد ذاته هو التهور، هو عدم الاستيعاب، هو ما فعلته أنا .

كررت قراءة الرسالة أكثر من مرة وأنا لست شاعرةً بما حولي فضجيج كلماتها ملأ المكان وعندما انتهيت شيء ما جعلني بحالة من الهمود والخوف .

أي همود وأي خوف هنا استطيع القول أنني أصبحت كالجسد الفارغ و المجرد من كل المشاعر و الأحاسيس حتى العقل .

أخذت احدِّث نفسي قائلة :

مازالت في سن لا يسمح لها بذلك و لا يمنحها أي حق من حقوقها المسلوبة .

أين ستذهبين الآن و كيف ستكملين ما تبقى من حياتكِ لم انتهي من هذا الصراع إلا وقد أتى لومي على والديها اللذان كانا المتسببان بما فعلته، لم يفهماها لم يكلماها ولم يقولا لها أن ما فعلته

شيء خاطئ كما يعتقدان، بل اخذا يعاملانها كأي حيوان لا عقل له ولا إحساس كأنهما لا يعرفان أن هناك شيء اسمه المراهقة و لا مفرَّ منه كأنهما غافلان عن ذلك .

إلا أنها ظلمت نفسها بما فعلت وها قد بدأ صراعها الحقيقي مع الحياة أي صراع أتحدث عنه صراع الحياة و القدر صراع الناس و الجهل صراع النفس و الذَّات .

في أي قرن نحيا !!! أتعجَّب أنا من الكثيرين اللذين مازالوا يفكرون بطريقة باتت مرفوضة تماماً.

لقد وقعت يا صديقتي ضحية للجهل و أصبحت فريسة لهذا القدر والدافع هو الجهل المسيطر على عقلي والديكِ.

بالنسبة لي ارفض قطعا ما فعلاه ليحمونها من المجتمع وقذارته وليحمون أنفسهم من الناس .

ما كان ينبغي عليهم فعله هو التكلم معها بأسلوب أكثر تفهما مما فعلاه و إن لم تصغي في

المرة الأولى ربما التكرار بهذه النفس المتفهمة مما سيمنحها الوقت للتفكير ثم الاختيار الصحيح .

و الآن ماذا سأفعل لابدَّ لي أن اذهب لوالديها وأريهما ما خطَّته ابنتهما حتى لو كان ذلك دون جدوى ،لربما ينظرون إلى الحياة بنظرة مختلفة بعد ما فعلته ابنتهم بسبب ما قدماه لها من ظلم .

ذهبت إليهما لأطرق باب المنزل مرارا دون جدوى وإذ بأحد الجوار سألته أين هم ،أجابني : بعد أن غادرت ابنتهم المنزل فقدت والدتها عقلها وانفصلا هي والأب، ثم أخذ الأب ولده ورحلا ولا أعلم إلى أين هذا كل ما عرفناه.

عدتُ أدراجي ولا اعلم أين سأذهب كل ما شعرت به حينها أنني ارغب بالبكاء ارغب بالسير حتى اللانهاية .

توقفت عن التفكير تملَّكني أسوء شعور لما حلَّ بهذه العائلة .

ترى ما السبب لماذا يا الهي بتُّ غير شاعرة بنفسي أيعقل؟ أيمكن؟

تباً لهذه المجتمعات تباً لنا تباً لعُقدنا أنني ارغب بالفناء على أن أرى أناس يفكِّرون بهذه الطريقة .

اشعر أنني بحاجة إلى منزلي إلى حضنهُ إلى حنانهُ إلى حمايتهُ.

هل شعرت يوماً صديقتي بهذا الشعور ؟

هل احتاجت يوماً إلى والديها ؟

هل منحاها حقوقها كاملة كأبوين ؟

اقسم انه ما حصل شيء مما قلت، إذاً ماذنبها هي لمجرَّد أنها خُلِقت ابنتهم لمجرد انه خفق قلبها أو لأنها ما استطاعت الفرار من المراهقة.

يااااه كم من فتاة تحيى هكذا و كم مجتمعنا ظلم الفتاة فهي مظلومة منذ العهد البعيد أيام الجاهلية عندما كانوا يدفنون الفتاة حية خوفا من العار و عندما قرر المجتمع أن يمنحها حقوقها فقد

سلب أهمها وعندما قررت أن تتساوى مع الرجل فقد منحها الشقاء .

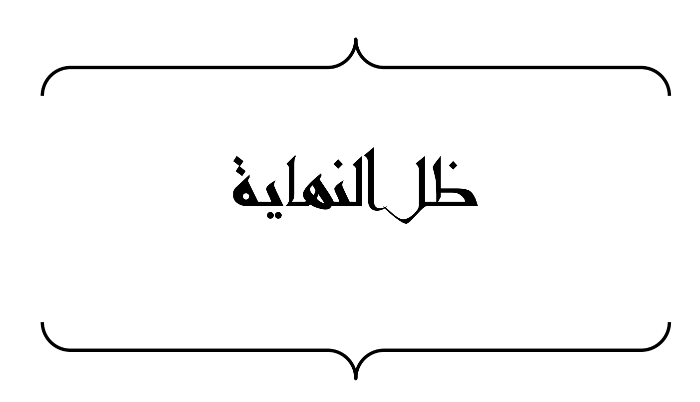
كثيراً ما تساءلت ما الفارق بين الرجل و المرأة .

هل هو يملك قلباً وهي لا تملك...

هل هو قادرٌ وهي ضعيفة، هل لديه أحاسيس ومشاعر وهي مجرَّدة منها ، هل هو عظيم قوي مسيطر وهي امرأة ضعيفة تجلب العار...

للأسف فأن الكثيرين يعتقدون بقناعة يجعلونها عبرة لهم ويورثونها لأبنائهم .

يعتقدون أن الفتاة مجرد عار .


ظل النهاية

ظل النهاية

عندما يلعب القدر لعبته السخيفة مع المرء تصبح الحياة مُريعةً إلى حد فائِق ولا محدود، حينها علينا أن نفكر بشيء آتي لا بماضيٍ قد رحل حتى وإن كان الحاضر قد انتهى بانتهاء الماضي، لربما الحظ حليفنا بما هو آتي ولو لمرة واحدة وعن طريق الصدفة العابرة.

المهم هو الخطوة القادمة لا تلك التي مضت، من كان ذاك الذي سيخبر صديقتي بذلك عندما اختارت طريقاً مغلقاً سارت به .

ولما رأت نفسها تائهةً هناك حينها لم يكن بوسعها التراجع فمضت مغمضة العينين جريحة القلب تائهة الخطوة حتى لحق بها الهلاك ونال منها الأوغاد .

حتماً مضت الأشهر العديدة دون أن أرى أو اسمع أي شيء عنها وكيف لي أن آتي بأخبارها بعد أن اختفت من حياتي تماما دون أن تترك أي أثر لها .

فتجاهلت قصتها مرغمةً بعد أن أثَّرت بي إلى حد يُحال وصفه، والانتظار الطويل جعلني حينها بحالة يأس و اكتئاب، ليُطرق باب منزلي من جديد بعد مرور ستة أشهر تقريباً أو ربما أكثر لأرى ورقة مرميةً أرضاً.

ذاك هو أسلوب صديقتي، من سواها يفعل ذلك...

سارعتُ بالقراءة لعلَّ فضولي قد سيطر على كياني بذات اللحظة و ليتني قتلت ذلك الفضول ولم اقرأ ما قرأته .

هذا ما كتب في الورقة : ((لن أنعتك بالأخت فانا لا استحق هذا الشرف اليوم و لن أخاطبكِ بالصديقة فالصداقة اكبر من أن تمنح لمثلي، لذا أنتِ يا أغلى ما بقي من حياتي من ذكريات لن أجد مكانا لكلمة اشتقت إليك أمام تلك المشاعر التي

عجزت تماماً عن وصفها ، لابدَّ انكِ تتساءلين كثيراً
عني وما فعلتهُ بي الأيام .

اعذريني لأنني منحتك الحيرة في أمري طوال تلك
الأشهر الماضية ، واعذريني أكثر لأنني عدتُّ إليكِ
اليوم بذكراي التعيسة الذي ستتعسكِ أكثر عندما
تنتهين من قراءة هذه الرسالة إلا أنني بحاجة شديدة
و برغبة اشد لأخبرك بما حصل لي .

فهذه الأيام تقودني إلى الجحيم وليس
باستطاعتي القيام بأي شيء سوى الاستمرار ، فأنا
الضعيفة أمام أقداري المدمرة . أنا لا شيء أمام
جبروت الأقدار .

ليتني سمعتكِ عندما قلتِ دعي القدر يقودكِ
اليوم ، ليتني لم أتحدَّاه ليتني فعلت .

فقد كان أقسى من ذلك الشاب الذي أحببته
والتجأتُ إليه في ذاك اليوم المشؤوم لابد انكِ
تذكريه. لأراه يحطم حياتي و يدمِّر مستقبلي.

عندما أخبرته أنني رحلت عن منزل أهلي دون عودة، رايته نمراً مكشراً عن أنيابه لا حملاً وديعاً يحمي سمعتي من الأوغاد لقد رفضني يا صديقتي قائلاً:

لست أنا من يرتبط بفتاة خرجت من منزلها والعار سيلحق بها ابد الدهر .

عودي حيثما أتيتِ فلا مكان لكِ في حياتي أو حياة أي شاب. آه يا صديقتي وأي خيار كان أمامي سوى اللجوء إلى الشوارع وحقاً فعلت.

بقيت أيام بلياليها أسير في الطرق و اغفو في المباني ويوماً كنت أسير قاصدة أي مبنى و ملامح الإرهاق واضحة تماماً على وجهي وخطواتي التائهة .

وإذ بامرأة طويلة القامة حسنة الشكل و المظهر أخذتني معها وأدخلتني منزلها لربما غفوت قبل أن اخبرها عن قصتي ولابد أنها شعرت بالشفقة إتجاهي.

و عنـدما اسـتيقظت جاهلـة تمامـا الوقـت الـذي سرقني، رأيتها جالسـة أمـامي تتـأملني بنظـرة مـا مـن تعبير لوصفها الشفقة و الحقـد و الطيبـة والقسـوة لم يكن أمـامي سوى أن اخبرهـا بقصتي كاملـة كـان عرضها لي هو البقاء في منزلها ريثما نجد حلاً لما أنـا فيه بقيت لديها إلا أنني لم اشعر بالأمـان بـين جـدران ذلك المنزل لدقيقة واحدة إلى أن اصطحبتني يومـاً إلى هنـاك حيـث الوحـوش و المتمـردون اللـذين لا يهمهـم سـوى أنفسـهم وسـعادتهم واللـذين لا يتّبعـون سـوى شهواتهم و مصالحهم فقد كانت تعمل كراقصة في إحدى الملاهي الليلية أصبحت تأخذني كل ليلة .

رأيت أشياء لم أرهـا من قبل .

تعلّمـت أشـياءً لـو بقيـت أبـد الـدهر في منزلـي لمـا تعلّمتها وعملت في هذا النادي .

هل من خيار آخر كان لدي .

فقدت كل شيء، فقدت حياتي، فقـدت سمعتي و فقدت نفسي، أصبحت كحثالة في المجتمع .

انتهت حياتي و دمِّر مستقبلي ، أسير في الطرق واضعة رأسي أرضاً ، أخشى نظرات الناس إلي عندما تقول أنتِ فتاة ساقطة ، ما بوسعي أن افعل و أنا حقاً كذلك بل أكثر .

آه .... قليلة هي كلمة الآه إلا أنها معبِّرة بعض الشيء أنا اليوم فتاة تائهة لا وجود لها انتظر لحظة الموت وارجوها في كل وقت حتى الموت أرى أنني لا استحقه .

اعلم تماما أنني عار عليك الآن لذا ....

أعدكِ أن ارحل من حياتكِ كما رحل النور من حياتي .

أعدكِ أن ابتعد دون عودة و أعدكِ أني لم و لن أنساكِ ما حييت سأبقى أتذكَّر أيام صداقتنا المليئة بالعفَّة و الأهم أنني لن أنسى تجاهل والديَّ لي عندما تركت منزلهما...

أمَّا أنتِ فعليكِ أن تنسيني تماماً فذكراي هي عار أقسم أنها عار والوداع ....))

آه يا صديقتي المسكينة

ماذا فعلتِ بنفسكِ وأي عار تتحدثين عنه، أين أنتِ الآن كيف سأراكِ وقد وعدتني بالخروج من حياتي هل هذا ما خطتهُ صديقتي؟ هل ما قرأتهُ صحيح أم أنني أحلم؟

هل من أحد يوقظني، هل من أحد يخبرني إنه كابوس، لقد قتلتني يا صديقتي لقد جرحتني ذاك الجرح الذي لا دواء له .

هل لي أن أتخلّى عنكِ؟ هل تعتقدين ذلك؟ لا اقسِم أنني لم و لن افعل لقد ظلمتي نفسكِ تلك النفس العفيفة التي ظُلِمت منكِ قبل أن يظلمها والداكِ، قبل أن يظلمها الناس لطالما رجوتُ اللّه أن يحميها من أناس كهؤلاء، لكنها وللأسف وقعت في أيدي شياطين الملاهي تلك الأيادي المدنسة التي لا ترحم .

تلك النفس التي لا تعرف سوى إرضاء شهواتها، أنني أتمزق قهراً ودمي يحترق أسفاً وحان لهذا

البركـان الـذي بـداخلي أن ينفجـر لكـن هـذه المـرة بصمت شديد .

اقسـم أنهـا لـن تكـون نهايـة حياتـكِ، فأنـتِ لا تستحقين حياة كهذه، أقسم أنني سأفعل ما بوسعي لمسـاعدتكِ، لكـن كيـف؟ أيـن سـأجدكِ؟ بمـن استعين؟ متى أبدأ؟

وهـل أتسـاءل منـذ اللحظـة وفي الحـين لم يكـن أمـامي حينهـا سـوى الاسـتعانة بأحـد أقـاربي و حقـاً فعلت .

اخذ يبحث عنها في معظم الملاهي و كرَّس وقتهُ بأكمله تقريبا للبحث عن صديقتي .

إلى أن وجـدها هنـاك في إحـدى هـذه الأمـاكن المدنَّسة، لكن للأسف فالتحدُّث معها كـان أصعب بكثير من إيجادهـا، بقـي أيام بلياليها يبحـث عنهـا إلى أن وجدهـا أخيراً حاول التحدث إليها مـراراً لكـن المرافقة كانت دائما تمنعهُ بعنف .

لماذا كل هذا الخوف؟ من أي شيء تخشين بعد اليوم على نفسكِ و من ماذا؟

والدتكِ فقدت عقلها...

والدكِ رحل دون عودة...

إذا لما كل هذا الخوف وما الداعي لهذه المرافقة التي تصطحبكِ كظلكِ... إلا أنني أريد رؤيتها بأي ثمن ومهما كانت النتائج فكان لا بدَّ من ذهابي إليها بنفسي .

عندما تراني ستكلمني ستقترب مني دون شك انتظرتها مع قريبي بالقرب من ذلك المكان إلى أن وصلت فاقتربت منها حالاً ووقع نظرها علي لبضع ثواني لأراها تعود أدراجها و تصعد سيارتها الفخمة مُسرِعة .

كل شيء جال في خاطري، إلاَّ أن تفعل ذلك عند رؤيتي لربَّما شعرت بالخجل أو ربما شيءٌ آخر دفعها لتفعل ذلك . إذاً ماذا سأفعل الآن أكثر مما فعلتُ...

عدتُّ إلى المنزل بصحبة قريبي و أخذنا نفكر بوسيلة أخرى للوصول إليها .

فأتانا اليقين، سيذهب و يترك لها رقم هاتفي مع أحد العمال هناك ففعل كاتبا على الورقة أنا صديقتكِ اتصلي بي ضروري أرجوكِ .

أنتظرت إتصالها لأيام طويلة راجية اللّه أن تفعل، مضت الأيام و أنا أعدُّ دقائقها و انتظر أي شيء منها إلى أن رنَّ هاتفي عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل لأرى رقما ما رأيته من قبل، شيء ما داخلي قال هي لكن يداي ترتجفان و قلبي ينبض مسرعاً... ياه كم من الوقت انتظرت هذه اللحظة كم رجوتها وها هي الآن إذاً لماذا اعجز أمام رنين هذا الهاتف لماذا هذا التوتر الذي سيطر تماماً... هي تكلمي ما بالكِ.

نعم إنها هي هذا هو صوتها إنها صديقتي لقد مرَّ زمن على هذا الصوت...

آه يا حبيبتي :

أريد رؤيتكِ بشتَّى الوسائِل

لا تتكلّمي لا تتفوَّهي إمنحي لي أي عنوان لأراكِ غداً و إذا بها باكية بقهر و حزن قائلة : كفاكِ عذاب و اطرديني من حياتكِ ألن أخبركِ أنني عار عليكِ بالله عليكِ كفى يكفيني ما أنا فيه من عذاب النفس والضمير دعكِ مني فإخلاصي لكِ يمنعني من رؤيتكِ قولي لي وداعاً و ارحلي فأنا لستُ تلك التي تبحثين عنها...

أنا اليوم فتاة أخرى لا تعرفينها و لن تعرفيها يوماً كنت اشعر بمرارة هذه الدموع الحارقة كنت المس مدى قهرها و ألمها من خلال هذه الكلمات

كانت تنطق وشيئا داخلي يتمزق .

إلا أنني أريد رؤيتك أرجوكِ و ليكن لقاؤنا الأخير أن أردت .

امنحيني بضع دقائق بحق صداقتنا بحق تلك الأيام الجميلة التي عشناها معا .

و أخيراً متى سيأتي يوم غد متى ستحين لحظة رؤياكِ يا صديقتي متى و متى ومتى .

رحتُ انتظر هذه اللحظة كما لو أنني انتظر اكبر حدث في حياتي وأهمهُ ....

وأتى يوم غد بل أتت تلك الساعة بل حان الموعد لأكون قبلها بنصف ساعة تقريبا وإذ بفتاة حسنة الشكل تشبه صديقتي كثيراً إلا أنها ليست تلك التي لطالما عرفتها وتحدثت إليها و جلستُ إلى جانبها وقضينا معاً أجمل أوقاتنا و تشاركنا أفراحنا وأحزاننا نعم ليست هي .

فصديقتي فتاة بريئة الوجه متواضعة النفس لا تملك أربع حراس رافقوها كظلها ....

يااااه أين لهفتها هل اكتفت بالسلام و جلست يا الهي خيبة أمل مُدمِرة سيطرت على كياني بذات اللحظة و سالت دموعي حالاً قائلة :

هل أنتِ تلك التي عرفتها بالأمس وقرأت كلماتها أم أنكِ أخرى و إذ بها تخرج السجائِر من

حقيبتها لِتُشعِل واحدة بابتسامة ملأتها السخرية ملأها الأسى و ملأها الشقاء .

لتسيل من عيناها دمعتان أحداهما رأيتها من قبل و الأخرى ما سبق أن عرفتها قائلة بصوت رقيق جداً :

لست أنا صديقتكِ .

هل أدركتِ الآن لما رجوتك أن تنسيني...

كي ابقي صورتي القديمة بمخيلتك لأنني ما عدتُّ استطيع استعادة تلك الصديقة التي تأملين أن ترينها اليوم ......

و لأنكِ أعز ما بقي في حياتي أتيتكِ اليوم بهذه الصورة لعلكِ تدركين مدى قذارتي و تقتلين صديقة عمركِ داخلكِ آه و ألف آه شيء لا يُصدَّق ماذا نطقت صديقتي بأي شيء تفوَّهت هل عنت ما قالت ...

شيءٌ ما داخلي دمّرتهُ بكلماتها اقسم أنها فعلت، شعرت أن كلماتي إليها توارت تبعثرت هنا وهناك مشاعري ذبلت وحبي لها مازال للأسف مسيطر .

و هذا ما منعني من قرار عقلي الذي أمرني حالا بالمغادرة ....

فأجبتها عرفت أنني سأراكِ بشكل أخر لكن ليس تماماً كهذا فقد فوجئت بكِ لا بل صُعقت .

أنني ارغب الآن وفي هذه اللحظة بفراقكِ ابد الدهر إلا أنني و للأسف أقسمت بأن أساعدك مهما كلفني الأمر و مهما واجهتُ من المتاعب وإذا بها تقول : أخبرتكِ أنني مجرد عار عليك و أنتِ التي أصريتِ على لقائي .

فأجبت : لستِ لأنكِ عار علي فأنتِ عار على نفسكِ فحسب بل لأنكِ نسيتِ تماما من أكون نسيتِ أيامنا معاً .

مهما فعلت بكِ الأيام و مهما واجهكِ القدر والناس ما كان ينبغي قتل ودفن مشاعركِ البريئة ونفسكِ الجميلة الطاهرة على الأقل الاحتفاظ بشيء منها . أتعلمين بدأت اشك بأنكِ تلك التي خطّت أخر رسالة لن أخبركِ ماذا حل بي كيف عشتُ أيامي

بعـد رسـالتك الأخـيرة و مـاذا فعلـتُ لأراكِ و كيـف انتظرت هذه اللحظة .

و كم رجوت من اللّه، إلا أنني آسفة ومن كل قلبي ، كنت امتلك الكلمات الكثيرة لأقولها إلا انكِ بعثرتِها بمجرد لقائكِ الذي ملئه البرود وتوجّه حرّاسكِ هؤلاء، وبعد كل ذلك تكلميني بسخرية دون أي مبالاة حقاً أنني آسفة .

وإذ بها واقفةً و الغضب سيطر عليها قائلة بصوت لئيم و نبرة جارحة أطلبتِ رؤيتي لتوبخيني؟ أنا لا أمنحكِ هذا الحق أياً كنتِ بالنسبة لي .

لن أقول أنني صُعقت فتلك الكلمة لا تعبِّر عن جزء بسيط جداً مما تملّكني في ذات اللحظة ، لكنني سرعان ما استعدت جأشي و أخفيت البركان الذي شبَّ داخلي ووقفتُ بكل برودٍ قائلة :

لربما حياتكِ الجديدة نالت إعجابكِ كثيراً إلى حد أنكِ كرهتي ماضيكِ و كل من فيه... وداعاً .

وهممت بالذهاب بسرعة ودموعي تغمرني وقلبي يتمزق و إذ بها راكضةً ورائي متسللةً لأسمع صوتا مرتجفا يملئه الذل قائلا :

أنني استسلمت لحكم قدري هكذا أراد والداي وهذا ما أراده حبيبٌ وصلت إلى هنا لأجله .

لم تكن رغبتي إلا أنها رغبة قدري أنتِ الآن في عالم و أنا في آخر رغماً عن نفسي أصبحتُ كما تريني و لِتكن هنا نهاية صداقتنا مهما كانت، وإياك أن تصدقي أنني سأحب هذه الحياة التي أحياها اليومَ أو سأحترمها لثانية إلا أنني مجبرة فقد خسرتُ كل شيء أتفهمين كل شيء و ليس بوسعي العودة أو البدء من جديد.

بتُّ أتعجب مما اسمعهُ من فقدان أملها في الحياة.

من يأسها و إصرارها على استمرار حياتها في هذا الطريق وقلت : إذا أردت البدء من جديد برغبة من قلبك وبقناعة تامة فستفعلين و تستطيعين و ستكون حياتك أفضل و أعدك أنني سأساعدك قدر

إستطاعتي مهما كان الثمن . هو مجرد قرار منكِ وقليل من الثقة و الشجاعة و ستكون حياتكِ كحياة أي فتاة يحترمها الآخرون .

لستِ الوحيدة التي ارتكبت خطأ كهذا و لستِ أول فتاة تركت منزلها وسارت في هذا الطريق و لن تكوني الأخيرة...

مازلنا نحيا في مجتمع يملأهُ الجهل .

علينا أن نقتل هذا الجهل و نحارب هذهِ العقول لكن ليس بهذه الوسيلة و تابعت المسير تاركةً ورائي فتاةً مازال ضجيج كلماتي يملئ ما حولها ، ترى من دمَّرها من قضى على حياتها ، من ومن ومن... وكم فتاة ظلمت نفسها سواءً أألوم المجتمع أم والديها أم ألومها هي .

آه كم سألت على من أصبُّ لومي، وكم امتلك من إشارات الإستفهام التي مازلت حتى الآن وبعد مرور ثلاثة أعوام جاهلة أجوبتها .

أحاول دائما أن أجد لها عذرا يملأ كبريائي وينفي تماما لومي عليها و عارها على نفسها إلا أنني لا أجده .

و أرى أنها تستطيع التراجع عن ذلك الطريق متجاهلة الناس ونظراتهم إليها ، لتبدأ حياة جديدة أفضل من تلك التي تعيشها نوعاً ما .

إلا أن لومي الأكبر على والديها اللذان لم يستطيعا التعامل معها وهي في مبتدأ مراهقتها ، لم يدركا أن عواطف الأبناء في هذا السن هي عواطف جياشة هائجة عمياء بحاجة إلى العطاء ، لم ترتكب أي ذنب عندما نبض قلبها و خصوصاً أن المراهقة لا مفرَّ منها فالحب هو الاطمئنان الذي يبعثه الله و ينشره بين الناس وإلا كيف ستستمر الحياة

لكنهما كانا رافضين تماما لهذا الشيء بتصرفهم الوحشي اللامبالي دفعوا بها إلى الهلاك وعندما بدأت بالغرق لم يحاولا إنقاذها .

منعاها من الحب بوحشية لا توصف إذاً لماذا لم يمنعاها من العار و الدمار بنفس الوحشية .

حقاً لا أعلم ماذا أقول فالأطفال في هذا السن يتعرضون إلى أشياء خطيرة و الحب هو أقل ما يواجهوه .

إلى هنا سأكتفي بما قلت رافعة هذه القصة إلى الجاهلين قبل المثقفين إلى الغافلين قبل الواعين .إلى كل أم وأب يخشون على أطفالهم من الضياع وسط هذا المجتمع الخالي من الرحمة وهذه الزحمة اللامبالية التي نحيا بها مرغمين طائعين .

الفهرس